المرحلة الثانية 2023/2022 مدرس المادة : م.د احمد علي عبدالله

المحاضرة الثانية (2)

الخالدون[1] (اعلام النهضة الاوربية) :-

ازدهرت المدن التجارية الايطالية ، جنوا والبندقية وبيزا وامالفي ، منذ القرن الحادي عشر ، وغدت اقتصادياتها تعتمد بشكل متزايد على التجارة الخارجية وارتفعت طاقة سفنها في حوض البحر المتوسط بوتائر سريعة لأنها احتكرت كل تجارة اوربا مع الشرق ، الذي وجدت بضائعه النادرة من توابل وحرير وعطور ومصوغات ذهبية وفضية سوقاً رائجة لها في كل الاقطار والاوربية تقريباً . ولم ينته القرن الثالث عشر حتى اصبحت ايطاليا تحتل الصدارة في مختلف مجالات حياة القارة الاقتصادية والاجتماعية ، وتقدمت مدنها على غيرها بسرعة . ففي البندقية وحدها بلغ عدد العاملين في مجال صناعة الاقمشة حوالي ستة عشر الف شخص ، وفي مجال صناعة السفن ستة آلاف شخص . وظهر في فلورنسا اولى العلاقات الرأسمالية واولى المانيفاكتورات (الورش) واولى الاتحادات المالية . وفي القرن الرابع عشر ، كان عدد المحلات الحرفية الكبيرة الفلورنسية التي بلغت مرحلة الانتاج المانيفاكتوري في صنع الاقمشة وحدها مائتي محل . وأدى هذا التطور الصناعي السريع الى ان يشكل العمال 80% من مجموع السكان العاملين في المدينة . وادت فلورنسا دوراً بارزاً في مجال الصيرفة ، وكانت البابوية تعتمد على المصارف الفلورنسية في جمع وارداتها في أقطار اوربية متعددة ، ومن ايطاليا انتشرت المصطلحات المصرفية في اوربا . ومن مظاهر الازدهار الفلورنسي ان عدد سكان المدينة قد تضاعف بمقدار اكثر من مرتين خلال قرن ونصف ، اذ ارتفع من حوالي سبعين الف شخص أواخر القرن الثالث عشر الى حوالي مائة وخمسين الف شخص في منتصف القرن الخامس عشر . وظهرت اسر فلورنسية تجارية مثل اسرة مديتشي .

ويمكن تحديد الاطار الزمني للنهضة الايطالية ، وفقاً لأستاذنا الدكتور كمال مظهر احمد ، كما يأتي :-

1. المرحلة المبكرة : وتغطي أواخر القرن الرابع عشر والقرن الخامس عشر.
2. مرحلة السمو والتكامل : وتشمل نهاية القرن الخامس عشر والربع الأول من القرن السادس عشر .
3. المرحلة المتأخرة : في القرن السادس عشر .

وينطبق هذا التقسيم ذاته الى حد كبير على بلدان اوربية غربية اخرى ، وكانت المرحلة الأولى هي مرحلة الميلاد والتكون ، والثانية مرحلة النضج والتكامل ، بينما شهدت المرحلة الاخيرة تراجعاً وأزمة جدية في ايطاليا وبعض البلدان الاوربية .

1- دانتي اليجيري (1265 - 1321) :

([1]) هذا العنوان مقتبس من استاذنا الدكتور كمال مظهر احمد في كتابه القيّم : النهضة ، الصادر عن دائرة الثقافة والفنون عام 1978 ، ص66 .

المحاضرة الثانية (2)

دانتي اليجيري Dante Algerie شاعر ايطالي ، يعد بأتفاق الآراء المبشر الأول للنهضة ، ولد في فلورنسا واشترك في حياتها السياسية وكان يميل للأتجاهات المعارضة حتى حكم غيابياً ، وظل يعيش بعيداً عن مسقط رأسه حتى وافاه الأجل حيث دفن في رافينا .

كان دانتي ابرز رائد للدعوة الى استخدام اللغة الايطالية الدارجة في النتاج الادبي بدل اللاتينية ، مما وجد له صدى واسعاً في اوساط المثقفين ، لاسيما في فلورنسا . وخصص للغة الايطالية الدراجة عدداً من البحوث مثل (حول اللغة الدارجة)، وشبه لغته القومية (بخبز الشعير) ، لأن هذا بالذات كان يشبع بطون آلاف البسطاء الطليان ، بينما كانت انواع الخبز الأخرى ، شأنها شأن اللغة اللاتينية ، حكراً على فئة قليلة من الناس . كتب دانتي باكورة نتاجه الأدبي (حياة جديدة) باللغة الايطالية وهي عبارة عن مجموعة قصائد مع تعليقات نثرية يروي فيها الكاتب قصة حبه لفتاة أحلامه الفلورنسية بياتريس بورتيناري التي بدأت منذ لقائه الأول بها في التاسعة من عمره ولم تنته بوفاتها في الثامنة عشرة من عمرها بل تحولت الى مصدر وحي للعديد من ابداعاته الشعرية .

تعد الكوميديا الالهية[2] (Divine Comedy) اهم نتاج قدمه دانتي للبشرية ، وهي ملحمة شعرية تتألف من (اربعة عشر الف بيت) ، تخيل فيها دانتي انه انتقل الى العالم الآخر ماراً بالنار (الجحيم) والمطهر (الاعراف) والجنة (الفردوس) . وفي النار وجد الأفاقين وقطاع الطرق ومعظم رجال الدين الفاسدين مثل اسكندر بورجيا ، الذي اشتهر بالفساد والمتاجرة بالمناصب الدينية ، اما المطهر فقد وجد فيه كثيراً من العلماء الوثنيين الذين قدموا خدمات للبشرية . ورافقه في هذه الرحلة الشاعر الروماني البارز فرجيل Virgil الذي وصل معه الى المطهر ولم يستطع مرافقته الى الفردوس لأنها لا تضمم الا المؤمنين من وجهة نظر رواد النهضة . وفي الفردوس وجد دانتي كثيراً من العلماء ومفكري النهضة البارزين ذوي الفكر المخالف لفكر الكنيسة . وسمى دانتي ملحمته بأسم الملهاة (الكوميديا) Comedy ، تهكماً واستنكاراً للواقع الذي كانت تفرضه الكنيسة والاقطاع، اما اسم الالهية فقد اضيف اليها من قبل المفكرين لاحقاً ، بسبب قيمتها الفنية ومكانتها الادبية . وعلى اية حال ، تشكل الكوميديا الالهية استنكاراً للواقع الفاسد ، وأسهمت في تنمية الحس القومي واللغة القومية الايطالية . وقد تأثر دانتي في الكوميديا الالهية بالثقافة العربية الاسلامية ، اذ يشير المؤرخ الايطالي اسن بلاسيوس انه قد تأثر بالاسراء والمعراج للرسول محمد (ص)، ورسالة الغفران لأبي العلاء المعري.

تتعدى اهمية (الكوميديا الألهية) الناحية اللغوية ، اذ ورد فيها افكار اجتماعية وسياسية وفلسفية عميقة في مضمونها المليء بأشجع تحدٍ صارخ للقيم البالية وبتطلعات زكية نحو عالم افضل بأسلوب مستعار . ولم يأت اختيار دانتي لفيرجل دليلاً له في جولته عبثاً ، بل كان في الأمر مغزى عميق ، اذ

([2]) ترجم المرحوم الدكتور حسن عثمان (الكوميديا الألهية) الى العربية بثلاثة مجلدات ، وأصدرها في القاهرة بين الأعوام (1959–1964) .

المحاضرة الثانية (2)

عاصر فيرجل ايضاً غروب عصر وتمنى في اشعاره بزوغ فجر (العصر الذهبي) وتغنى بتقاليد روما القديمة التي آمن بعظمتها فأحبها من الأعماق . وكان فيرجل بخلقه الرفيع وتواضعه الأصيل ونشاطه الجم وأخلاصه النادر يمثل خير نموذج لأنسان عصر النهضة . وتتميز (الكوميديا الألهية) بطابع موعظي ديني عام لم يكن بأمكان دانتي التجرد منه ، الا انها تحتوي مع ذلك على أمس وأبلغ نقد أدبي وجه الى الكنيسة ورجالها حتى ذلك الوقت .

وتعد (الكوميديا الألهية) ايضاً أول قصة تحتوي على مضمون وطني عميق مع تعبير واضح عن الوجود القومي للشعب الايطالي ، اذ كان صاحبها يحلم بالوحدة الايطالية والقضاء على الحروب والنزاعات الداخلية ويميل الى الغاء السلطة الدنيوية للبابوات .

مع ذلك ، هناك بعض التناقض في مواقف دانتي ، فعلى الرغم من نقده اللاذع للبابوية ورجال الدين ، آمن بقدرة الامبراطورية الرومانية المقدسة The Holy Roman Empire ، التي اصبحت في زمنه اقرب الى اسم دون مسمى ، على حل مشكلات بلاده، لأنها حسب رأيه " **أعظم أمل للعالم المسيحي** " وخير وسيلة لتحقيق الوحدة الايطالية . ثم ان دانتي لم يستطع التجرد من قيم العصور الوسطى على الرغم من نبذه المخلص اياها ، وهو أمر يجب ان يؤخذ بالحسبان عند تقييم اعمال ونتاجات الرائد الأول للنهضة الذي " كان اول شاعر للعصر الحديث " ، الا انه كان في الوقت نفسه " آخر شاعر للعصور الوسطى " .

ولا يمكن لهذه الانتقادات ان تقلل من مكانة دانتي بوصفه الرائد الأول للنهضة الاوربية ، ويكفيه فخراً انه كان أول من دعا في عصر مظلم الى حرية الشعور وانطلاق العقل لفهم العالم واحترام قيم الفرد فأيقظ العقول من سباتها الطويل ووجه ضربة قوية الى القيم الاقطاعية والكاثوليكية السائدة واستحق لقب المبشر الأول لأقطار النهضة[3] .

2- بترارك (1304 - 1374) :-

يعد من الانسانيين الذين كان لهم تأثير كبير في فكر النهضة ، كان مولعاً بالمخطوطات القديمة ومتأثراً بالاديب الروماني شيشرون ، كتب عدداً من الملاحم الشعرية باللغة القومية الايطالية ، اهمها ملحمته (افريقيا) التي صور فيها الصراع بين قرطاجة وروما ، وامتاز اسلوب بترارك بالبلاغة واسهم ايضاً في تطوير اللغة القومية الايطالية .

ينتمي بترارك الى عائلة تجارية فلورنسية طردت مع عائلة دانتي من المدينة قبل مولده بعامين بسبب موقفها السياسي . درس القانون والعلوم الدينية ودخل في خدمة الكنيسة . جاب المدن الايطالية

([3]) عن التأثيرات العربية الاسلامية في كتابات دانتي وعلى نحو خاص (الكوميديا الالهية) ، انظر: عبد المطلب صالح ، دانتي ومصادره العربية الاسلامية ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والفنون، 1978 .

وعن اثر (الكوميديا الالهية) في الفن التشكيلي العالمي ، أنظر : غبريال وهبة ، اثر الكوميديا الألهية لدانتي في الفن التشكيلي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987 .

والاقطار الاوربية المتعددة فأطلع على حياة الناس ومشكلات المجتمع . اعجب بالثقافات القديمة وأولى تعلم اللاتينية اهتماماً كبيراً ، واهتم بجمع المخطوطات واستعار من المؤلفين القدامى الكلمة اللاتينية Humanitus ، وكرر استخدامها على نطاق واسع ، فكان بذلك اول من وضع المعرفة الانسانية في مواجهة مباشرة مع اللاهوت ، تأثر بالحضارة الرومانية . من مؤلفاته الأخرى : (الروح العالية) كرسها للأنتفاضة التي وقعت في ايطاليا و (وطني ايطاليا) Italia mia ودعا فيه الى الوحدة ونبذ الخلاف والشقاق ، وانتقد الكنيسة في قصائده التي اسماها (رسائل بدون عناوين) . كانت ملهمته فتاة ايطالية اسمها (لاورا) ، تحولت الى مصدر وحي للعديد من نتاجاته الأدبية . قضى بترارك المدة الأخيرة من حياته في عزلة تامة عن العالم الخارجي ، ولكنه لم ينفصل عن مشكلات بلده ، واثر على الانسانيين الآخرين، ولاسيما تلميذه بوكاشيو .

3- بوكاشيو (1313 - 1375) :-

ولد الكاتب الايطالي البارز جيوفاني بوكاشيو في باريس في عائلة فلورنسية امتهنت التجارة . بعد عودته الى ايطاليا ، بدأ نشاطه الادبي في مدينة نابولي وتمتع في نابولي برعاية ملكها ووقع في حب ابنته (ماريا) التي ادت دوراً بارزاً في حياته . انتقل الى فلورنسا واندمج بحياتها السياسية والفكرية . بلغ بوكاشي قمة ابداعه الفني في رائعته **(دي كامرون)** ، المؤلفة من مائة قصة قصيرة قضى ثلاث سنوات في تأليفها ، وهو يرويها على لسان سبع شابات وثلاثة شبان امضوا عشرة ايام في فيلا خارج المدينة اثناء انتشار الطاعون في فلورنسا عام 1348 ، وكان يروي كل واحد منهم قصة واحدة في كل يوم . ومن هنا جاء اسم الكتاب (دي كامرون) الذي يعني باللاتينية **(مذكرات عشرة ايام)** . ولا يستبعد احتمال تأثر بوكاشيو بألف ليلة وليلة التي ترجمت الى اللاتينية ايام الصليبيين . وينتقد في هذه القصص تصرفات الرهبان والوعاظ والمبشرين والقساوسة الكاثوليك . ويختلف بوكاشيو عن دانتي بأن شخصياته واقعية وليست من الماضي السحيق . ففي سنواته الاخيرة تفرغ للعمل العلمي والبحث عن المخطوطات القديمة والتأليف في مجال التاريخ وأسس في فلورنسا كرسياً لشرح مؤلفات دانتي وعلق بنفسه على سبع عشرة انشودة من أناشيد (الكوميديا الالهية) ، وهو اول من سجل تاريخ حياة مؤلفها في كتاب خاص .

4- (1407-1457) :-

عاش لورينزو فالا Lorenzo Valla في القرن الخامس عشر ، اهتم بتحقيق المخطوطات القديمة والمخطوطات الكنسية ، اذ اعتمدت عليه البابوية في تحقيق بعض المخطوطات الكنسية . استطاع لورينزو فالا من خلال عمله في الكنيسة كشف زور (هبة قسطنطين) Donation of Constantine ، واعتمد في ذلك على دراسة هذه الوثيقة الكنسية التي ادعت البابوية ان الامبراطور

قسطنطين الكبير Constantine The Great (237–305) منح قبل وفاته السلطة على الاجزاء الغربية من الامبراطورية الى البابوية . واعتمد لورينزو فالا في اثبات التزوير على ما يأتي :-

1-**الورق :** اكتشف ان الورق المستخدم في الوثيقة يعود الى عهد بيبن الثالث (740 – 768) ، وليس الى عهد قسطنطين الكبير ، اذ زورت البابوية هذه الوثيقة في القرن الثامن الميلادي لأقناع بيبن بمنح الممتلكات التي استولى عليها من اللمبارد الى البابوية .

2- **الحبر :** اكتشف ان الحبر المستخدم يعود الى عهد بيبن الثالث وليس الى عهد قسطنطين الكبير .

3- **الاسلوب :** كان الاسلوب في الكتابة هو اسلوب القرن الثامن الميلادي ، وليس اسلوب القرن الرابع الميلادي ، الذي عاش فيه قسطنطين . وهكذا جاء هذا الاكتشاف ليفتح المجال واسعاً امام النقد التاريخي وتطور الدراسات التاريخية لاحقاً .

5- ليوناردو دافنشـــــي Leonardo Davinci (1452 – 1519) :

ولد ليوناردو دافنشي في بلدة فنشي من اعمال فلورنسا التي تكونت فيها امكاناته الفنية وبدأت فيها نشاطاته الابداعية المبكرة . يعد من اشهر فناني عصر النهضة ، كان فناناً وأديباً ومهندساً فلكياً بارعاً ، ترك مخططات هندسية رائعة تدل على عبقرية فنية وذكاء متوقد . وتعد **الموناليزا (Monalisa)** من اهم لوحاته الفنية ، والموناليزا او (جوكنده) هي زوجة احد النبلاء الايطاليين ، اعجب بها ليوناردو دافنشي واستمر في رسمها لمدة ثلاث سنوات . من جانب آخر توضح هذه اللوحة الفنية مقدرة ليوناردو دافنشي وتمكنه من حرفة الرسم . رسم هذه اللوحة في حوالي عام 1503، وأعطى صاحبة الصورة رائعة الجمال بعداً فنياً خاصاً من خلال نظرتها البعيدة وابتسامتها الغامضة التي اصبحت مدار نقاش العديد من الرسامين والمختصين في فن الرسم وغيرهم ، وتعد من أثمن موجودات متحف اللوفر في باريس ان لم تكن اثمنها قاطبة . وفي لوحته المعروفة باسم **(العذراء والزهرة)** ، جسد دافنشي على نحو مبدع سعادة ام شابة تلعب مع طفلها البكر . اهتم دافنشي بتقاطيع جسم الانسان ودرس بعمق فن التشريح Anatomy ، لأن ذلك يساعده في فهم الحركة والتفاصيل الدقيقة لجسم الانسان . ومن لوحاته ايضاً التي تعد من روائع عصر النهضة لوحة **(العشاء الاخير)** last Super ، التي صور فيها السيد المسيح (ع) مع تلاميذه أو حواريه الاثني عشر وعلى وجه كل منهم الدهشة والاستغراب والخوف من ان يكون هو المشكوك فيه فيما يخص خيانة السيد المسيح (ع) . وهكذا وضع دافنشي بصماته على عصر النهضة بشكل راسخ .

آمن دافنشي ايماناً مطلقاً ذا مسحة فلسفية بوجود علاقة ثنائية بين الفن والعلم ولم يحد عن هذا الرأي حتى النهاية . وعبر بعمق عن نفسيات شخوص لوحاته ، وتمكن على نحو رائع من الجمع

بين الألوان ومضمون اللوحة ، الى جانب الحركة الملموسة بشكل غريب في رسومه ، مما جعل منه رائداً للمرحلة الجديدة في تطور الفن الايطالي والاوربي . كان عالماً عبقرياً اغنى تقريباً جميع حقول المعرفة بملاحظاته الدقيقة وتوقعاته العميقة . فدرس وبحث في الرياضيات والنبات والميكانيك والفيزياء والفلك والجيولوجيا والاناتوميا وفسيولوجيا الانسان والحيوان وفي الفنون العسكرية . وسجل جميع ملاحظاته العلمية بلغته القومية وعارض بشدة استخدام اللغة اللاتينية . ومما تجدر الاشارة اليه انه كان مطلعاً على مؤلفات عدد من العلماء المسلمين منهم الرازي وابن سبنا . قضى دافنشي ايامه الاخيرة في باريس تلبية لدعوة من ملك فرنسا (فرانسوا الأول) ، اذ حظي برعايته الشخصية ، وكان يزوره غالباً بنفسه ويقضي ساعات طوال في الحديث معه . توفي بعد سنتين من اقامته في باريس بعيداً عن وطنه ايطاليا[4] .

([4]) عن ليوناردو دافنشي انظر : بيتر وليندا موري ، فن عصر النهضة ، ترجمة : فخري خليل ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، 2201 ، احمد عكاشة (ترجمة وتقديم) ، ليوناردو دافنشي دراسة تحليلية لفرويد ، القاهرة ، مكتبة الانجلو – مصرية ، 1970 .